

بالشكر تدوم النعم وتزيد، وبالجهود والنكران تبنى وتبيد

إخوة الإيمان:

تحدثنا عن نعم الله ولا زال حديثنا عن شكر النعم، يقول ربنا: فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ [البقرة] وقال ربنا: وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وقال: أَنْ اشْكُرْ لِي... واعلموا عباد الله، أن الإيمان نصفان: فِضْفُصُهُ صَبْرٌ، وَنِصْفُهُ شُكْرٌ، ولا يكون العبد مؤمناً حقَّ الإيمان إلا إذا كان صابراً شاكراً، فيها الجناحان اللذان يطير بهما المؤمن إلى الجنة، فلا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا إيمان لمن لا شكر له، وقد مدح الله الشكر في نحو 40 آية من القرآن الكريم وأثنى على الصابرين والشاكرين في كتابه المبين، وبين فضلها في سنة نبه محمد صلى الله عليه وسلم، وأعظم الشكر عباد الله المبادرة إلى العبادة، قال الله تعالى: بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن الصابر الشاكر بأنه لا يزال ينقلب من خير إلى خير، ومن أجر إلى أجر حتى يلقي ربه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن صُهَيْبِ بْنِ سَيَّانٍ: حَبَّيْنَا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، ومدح الله الشاكرين فقال: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، وَكَانَ مُطَرَّفٌ يَقُولُ: نَعَمَ الْعَبْدُ الصَّبَّارُ الشَّاكِرُ، الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِذَا ابْتَلِيَ صَبْرًا، بل من أعظم العبادات وأجل القربات والطاعات الصبر والشكر لله، ودرجة الشكر فوق درجة الصبر؛ بل فوق درجة الرضا؛ لأن الرضا مندرج في الشكر ومندمج فيه؛ فلا يكون العبد شاكراً لربه إلا إذا كان راضياً عن ربه، مُشْتَبِهاً عليه بالثناء الحسن الجميل، مُوقِناً أننا لا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، سبحانه هو كما أثنى على نفسه، والشكر هو الطاعة لله بجميع الجوارح في السر والعلانية، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَرَنَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا، فما هو الشكر؟ الشكر هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده، ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة، يقول ربنا: وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وفي سنن الترمذي: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْبَبُوا اللَّهَ وَاشْكُرُوا لَهُ لِمَا يُعْذِقُكُمْ مِنْ نِعْمِهِ، فَشَكَرَ اللَّهُ تَزِيدَ بِهِ التَّيَمُّ وَتَدُومُ بِهِ الْبَرَكَاتُ وَيَنْدَفَعُ بِهِ كُلُّ مَكْرُوهٍ، فَاللَّهُمَّ امْنَحْنَا نِعْمَةَ الشُّكْرِ عَلَيَّ رِزْقَكَ وَنِعْمَكَ، وهذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيُحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَإِذَا تَحَلَّى الْمُسْلِمُ بِخَلْقِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ لِرَبِّهِ، فَإِنَّهُ يَضْمَنُ بِذَلِكَ الْمَزِيدَ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَوْزَ بِرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَأْمَنُ عَذَابَ رَبِّهِ قَالَ تَعَالَى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ، فبالشكر تزداد النعم وتدوم وبالجهود تبنى وتبيد، بل وربما نزلت العقوبات العاجلة قبل الآجلة، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في شرح قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا، أي هو نوح عليه السلام قيل: إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله، وهذا نبيُّ الله سليمان عليه السلام يدعو ربه قائلاً: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، إخوة الإسلام: لقد أجزل الله تعالى على عباده من نعمة العظيمة، وأغدق عليهم من الآئه الجسدية، وَرَزَقَ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ وَأَعْظَمَ نِعْمَةَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْنَا؛ هي نعمة الإسلام والإيمان؛ حيث جعلنا من أهل الإسلام والتوحيد، لا نعبد إلا الله، ولم يجعلنا مشركين نعبد غير الله تعالى، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله... قال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، قال: هي لا إله إلا الله، وقال ابن عيينة رحمه الله: ما أنعم الله على العباد نعمةً أفضل من أن عزفهم لا إله إلا الله، وشرح صدرهم للإسلام، وهادهم للإيمان، قال ربنا: فمن يرد الله أن يهديه يشرح... وقال: قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله... وقال تعالى: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ... وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ! لَا تَدَعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ اعْتَمِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على عباده بالكثير من النعم، ولا يستطيع الإنسان عدّها أو حصرها، فكلّ ما يحيط بالإنسان هو نعمة من الله تبارك وتعالى، ولا بدّ للإنسان أن يقابلها بالشكر والحمد، والعرفان والإحسان، وحمد الله وشكره يكون بالقول والعمل، قال تعالى: فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِنِعْمَتِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، والشكر صفة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا، وقال عن إبراهيم الخليل عليه السلام: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لَأَنْعَمِهِ اجْتِنَاءً وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَرْكَبِ، وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنْ نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ، وَتَأَمَّلْ أَخِي نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكَ، فَهِيَ سَابِعَةٌ وَشَامِلَةٌ وَاسِعَةٌ، دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ، نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ لَا تَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا؛ لِخَفَاءِ مُعْطَاهِهَا عَلَيْكُمْ، وَلِكَثْرَتِهَا كَثْرَةً تُفَوِّقُ اسْتِطَاعَتَكُمْ عَلَى الْإِحْصَاءِ، فاشكروا الله عليها، كم من النعم العظيمة الجليلة، التي تتمتع وتتقلب بها، وأنت لا تتذكرها ولا تستحضرها، أليس سنن الله علينا، وعدم كشف معايينا وذنوبنا؛ إِنَّ اللَّهَ كَثِيرُ السِّتْرِ لَتَقْصِرِنَا فِي الْقِيَامِ بِشُكْرِ نِعْمَتِهِ كَمَا يَحِبُّ عَلَيْنَا، وَاسِعُ الرَّحْمَةِ بِنَا حَيْثُ وَسَّعَ عَلَيْنَا التَّيَمُّ، وَلَمْ يَقْطَعْهَا عَنَّا بِسَبَبِ التَّقْصِيرِ وَالتَّفْرِيطِ وَالْمَعْاصِي.

خطبة الجمعة ليوم 17 ماي 2024 م